

الفكر الديني والأسطوري في زمن الحداثة العلمية وفق منظور المساءلة التركيبية لإدغار موران

Religious and mythological thought in the age of scientific
modernity according to the perspective of structural
accountability by Edgar Moran

إيمان قربي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2،

imengargui@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/10/09

تاريخ الاستلام: 2021/04/03

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى دراسة وضعيّة الفكر الديني والأسطوري، في زمن الحداثة العلمية، وفق المساءلة التركيبية لإدغار موران، حيث كشف اجتياح الأساطير والدين في تصور الإنسان الحداثي في الوقت الذي أعلن هذا الأخير، نهاية الدين والأساطير كافة، بدعوى أنّه قد تمكن من امتلاك الأنوار، إلا أنّ موران يبصر فيها، أساطير جديدة، جرى تشغيلها بأشكال مختلفة، فهي تبدل من ملامحها وتعمل على تمويه وظائفها، وبتركيبية موران النقدية ونشاطه التأسيسي، نستجلي كيف أقيمت أكبر مزاعم الحداثة (العلم، التقدم، السعادة)، وأساطير مملكة الإيديولوجيات الواعدة (الماركسية، الديمقراطية، الدولة القومية)، إمعانا منه، أنه تم إحياء الميثولوجيا في الإنتاج الفني (المسرح، السينما، الرواية)، أضف الى ذلك، يمكن اعتبار (الأخوة، الإنسانية، الحب) كدينا للإنسانية.

الكلمات المفتاحية: الدين، الأسطورة، الحداثة، العلم، التركيب،

Summary :

This paper aims to study the status of religious and mythological thought, in the era of scientific modernity, according to the structural questioning of Edgar Morin, where he revealed the invasion of myths and religion in the perception of modern man at the time when the latter announced the end of religion and all myths, claiming that he had been able to possess the lights. However, Moran sees in it, new myths, which have been played in different forms, It changes its features and works to camouflage its functions, and with Moran's

critical structure and his founding activity, we discover how the greatest claims of modernity (science, progress, happiness), and the myths of the kingdom of promising ideologies (Marxism, democracy, the nation-state), were established, further from him, that mythology was revived in Artistic production (theater, cinema, novel), in addition, (brotherhood, humanity, love) can be considered as a religion of humanity.

Keywords: Religion, myth, modernity, science Complexé

المؤلف المرسل: إيمان قرقي: imengargui@gmail.com

مقدمة:

في البدء كانت الكلمة (الفكرة الدينيّة)، ومختلف الأساطير للإنسان، بمثابة مرجع تأسيسي له، وأقنوما ثابتا منتصبا له، من بداية وجوده الفيزيقي، إلى لا نهايته الميتافيزيقية ، فقد كان التفكير الديني والأسطوري يمثل في زمن اللثيوروجي¹ متن تشريعي تستساغ منه جميع الأوامر؛ حيث يمتلك الإمكان المطلق في تسيير الإنسان، وتوجيه تفكيره، وتقويم سلوكه، وتحديد ذوقه، ولهذا كان يقدّسه ويجتهد في الإتيان بأفعاله وفق مقتضاه، إنّه الحقّ اليقين الذي يؤمن به إيماننا حماسيًا، بحيث لا يطاله الشك ولا المراجعة ولا حتى النّقد، وهو ما يجعل منه "موناد" Monade² مقفل متعال على الزّمان والمكان، إنّه بنية ذهنيّة تتحكّم فيه، وتوجّهه بشكل واع أو غير واع، وجوديًا وذهنيًا، فيمكن كبت محن الوجود البشري وتحقيق الأمن الأنطولوجي للإنسان الحائر، من خلال الأساطير والطّقوس والدين، باعتبارهم متنفس الأرواح التي تعاني. لكن مع لحظة الانعطاف الجذري، والتحوّل الغربي الكبير في زمن الحداثة، تمّ إقصاء الدين معلنة بذلك انتصار العقل، ومنادية بموت الإله، فقد تمّ تحرير العالم من سجن الأسطورة والأوهام، والانتقال بالإنسان إلى عالم الأنوار والحقائق العقلانيّة، فقد ظنّ الإنسان الحديث، أنّه أخرج كلّ ما هو مقدّس وميثولوجي من وجوده، أنّه يبصر بنهاية الدين، وتدنيّس كلّ ما هو مقدّس. إلّا أنّ المراهنة باختفاء الدين والأساطير، بدأت

تتآكل وبخاصة مع الأزمات التي تجتاح المجتمعات المعاصرة. وهو ما تبينه لنا المقاربة المورانية التي تمزج بين النظر العميق والتشريح الدقيق في معالجاتها لقضايا الفكر الديني والأسطوري. صحيح أن ادغار موران Edgar Morin،³ ليس أول من تناول هذا الجانب من الموضوع، إلا أنه أول من تناوله بهذه الشمولية والتعقيد.

وبهذا يأتي المقال الذي بين أيدينا، من أجل بيان -وفق الرؤية التركيبية - اجتياح الدين والميثولوجيا mythologique في تصور الإنسان الحديث، ففي الوقت الذي طرد هذا الأخير، الدين والميثولوجيات من منظومته كافة، إلا أنه أصفر ديانات وأساطير جديدة جرى تشغيلها بأشكال مغايرة. فقط هي تبدل من ملامحها، وتعمل على تمويه وظائفها، بسبب خضوعها لعلمنة جديدة. وبهذا سنكشف مع موران، أن أكبر مزاعم الحداثة ودعواها بالتقدم وامتلاك الأنوار، وسعادة الإنسان وقدرته على التحكم والسيطرة، هي مجرد أساطير، بل دين جديد ابتدعه الإنسان الحداثي بتجليات وتمظهرات متباينة. و بناء على هذا، فإننا سنعالج ثلاثة أسئلة، قدرنا لها الصياغة التالية:

هل انتهى الدين فعلا، وانعدمت آخر جذوة روحية لإعادة إحياء المقدس في الزمن الحداثي؟

أيمكن أن نقول بنهاية الأساطير، أم أنها تشهد تجليا أو تمظهرات جديدة في تصور الإنسان؟

إلى أي مدى يستطيع الإنسان، أن يحقق إنسانيته وهويته التركيبية، باستنجاهه للعقل والعلم فقط؟

أولا: الفكر الديني والأسطوري ومآلاته في زمن الحداثة العلمية:

لطالما كان هدف الانسان البحث عن معنى لوجوده لملاء فراغه الكوني، فبمجرد "أن يعتزل الإنسان وحيدا، ينتابه الشعور بالفراغ الكوني"⁴ الأمر

الذي دفعه منذ بدايات وجوده الأول إلى "اختراع قصص تعنيه على موضعة حياته داخل محيط كوني أوسع، وككشف له انتظاما كامنا فيه، تعطيه شعورا مضادا ومعاكسا للشواهد الباعثة على الاكتئاب"⁵، وبهذا كان الفكر الديني والأسطوري، بمثابة النسق المرجعي الذي يهرع إليه الإنسان، فقد كان يعبر عن طريقة العيش في العالم، فالأسطورة "تتكلم عن عالم مواز لعالمنا وبطريقة دائمة لوجودنا"⁶، فقد كانت تسمى بالفلسفة المعمرة، لأنها أرشدت المجتمعات إلى الأساطير والطقوس والتنظيم الاجتماعي، بالإضافة إلى ذلك، فإنها تساعد الإنسان على التعامل مع المآزق البشرية المستعصية، وتعيّنه على تحديد موقعه في هذا الوجود، وفي هذا تقول "كارين ارمسترونغ" Karen Armstrong "لقد كانت الفلسفة المعمرة (الميثولوجيا) تعبير عن حسنا الفطري، وبأن في البشر وفي العالم المادي حقائق ووقائع، أكثر بكثير مما يظهر بالعين"⁷، ذلك أن من خصائص الذهن البشري، هو قدرته على توليد أفكار وتجارب لا يمكن تفسيرها تفسيراً منطقياً، أي التفكير بشيء غير موجود في الواقع، لذلك يعتبر الخيال هو الملكة التي تنتج الفكر الديني والأسطوري، الذي يخاطب مخاوفنا ورغباتنا الجوهرية⁸، فهو يعتبر سندا مكيّنا للإنسان، يوجّه تفكيره، ويقوم سلوكه، ويحدد ذوقه.

و لكن مع لحظة التحول الغربي الكبير، تم تقويض كل ما آمن به البشر وقدسوه، فقد عد الإنسان الحديث كافة الأساطير والدين من مخلفات التاريخ، وضربا من الترف الفكري والنسج الخيالي، فقد اعتبر "ماركس الدين عارض من عوارض المجتمعات، كما جادل فيورباخ Feuerbach بأن الدين يجعل الناس تغترب عن إنسانيتهم"⁹، وبهذا تم التضحية بالثوابت الأنطولوجية الأصيلة بدء بالدين والميثولوجيا وكل ما هو خيالي، في مقابل ذلك، تم الانتصار لكل ما هو عقلائي القابل للتحقيق والإثبات، أو كما تقول "كارين ارمسترونغ" "تم تضيق مفهوم الحقيقة وحصره بما يمكن إثباته وما

يمكن التعبير عنه، وهو مفهوم لا يستثني الحقائق المعبر عنها بواسطة الفن والموسيقى¹⁰.

فلقد كان الإنجاز الغربي مستندا إلى انتصار الروح العلمية الناشطة، وأصبح العقل هو المثل الأعلى والقيمة الفضلى والوثن المقدس، وإله المعبود والحق اليقين، الذي لا يطاله الشك و النقد أو المراجعة. وبهذا أصبح العالم والمخترع بطل المجتمع الجديد، وواجهه محو المقدسات القديمة، إلا أن أبطال الحداثة الغربية ليسوا عباقرة روحانيين ملهمين بوساطة الميثولوجيا، بل هم عباقرة عقلانيون (المبالغة في إجلال العقل). وبهذا نفهم أن عباقرة الحداثة ألغوا نمط التفكير الديني والأسطوري، لصالح المنطقية والبراغماتية الكامنة في العقلانية العلمية¹¹.

إلا أن إدغار موران، لا يسترسل معها – الحداثة- في اعتزازها بالعلم والتقنية وارتكازها على الثقة في العقل، الذي مَجَّدَهُ الكثير من الفلاسفة، بل إنه يبصر فيها أساطير جديدة جرى تشغيلها بأشكال مغايرة. إنها تبدل فقط من ملامحها، وتعمل على تمويه وظائفها بسبب خضوعها إلى علمنة جديدة، وبتركيبة موران التي تمزج بين النظر العميق والتشريح الدقيق للفكر الحداثي، يكشف لنا كيف أقيمت أكبر مزاعم الحداثة (العقل، العلم، التطور)، ومملكة الإيديولوجيات الواعدة (الماركسية، الديمقراطية، الدولة القومية) وإمعاننا منه فقد تم إحياء الميثولوجيا في الإنتاج الفني (السينما، الرواية، الشعر).

إعادة اجتياح الفكر الديني والأسطوري في أنماط معقولية الحداثة: إنَّ الأساطير ومختلف الديانات، لم تنقطع ولم تبق دائرة تأثيرها في تراث الفكر اليوناني، إنَّها تمارس حضورا مكثفا في أنماط المعقولية الحديثة، ثم إنَّ هذه الأخيرة التي أوهمت نفسها بامتلاك الحقيقة والأنوار لا تنفلت من شبكية القراءة المورانية التعقيدية العميقة، التي تبصر إعادة اجتياح الفكر

الديني والأسطوري من جديد في وعي الإنسان الحديث "الذي اعتقد أن ترويج الأفكار اللائكية يطابق التطور الضروري والتقدمي من الأسطورة إلى العقل، ومن الدين إلى العلم، فقد كان يفترض أن يسير الانقراض البيولوجي والانثروبولوجي للأساطير وتقلص الحقل الديني إلى اختفائهما النهائي، الأمر الذي يدل على انتصار الحقائق الوضعية والعقلانية والعلمية"¹². في حين كان القانون التطوري الذي سعى إليه "أوغست كونت" August comte مجرد أسطورة، فقد كان هدفه الأصلي هو أن يصبح مؤسسا لعلم اجتماعي جديد، وأن يعرض هذا العلم نفس الطريقة الاستدلالية والاستقرائية والاستنباطية كما هو متبع في الفيزياء والكيمياء. بعيدا عن كل ما هو خرافي وأسطوري.

ولكن مع الظهور المفاجئ للأساطير السياسية أبان أن آمال كونت كانت سابقة لأوانها،¹³ ومبرر هذا أن السياسة بحسب "أرنست كاسيرر"، Arène Cassirer مازالت بعيدة على أن تكون علما دقيقا، ومع ذلك عنت "لكونت"، حماقة عبقرية تجلت في تتويجه للعصر الوضعي بديانة جديدة عينية وكونية. وأبعد من هذا، اقتنع "ماكس فيبر Max weber" كل الاقتناع بفكرة نزع السحر عن العالم أي أفول الأساطير والديانات والتقاليد كصيرورة دنيوية لصالح الإيديولوجيات والاعتقادات الذاتية،¹⁴ إلا أن موران كشف اجتياح الأساطير بل حتى الدين في أنماط المعقولية الحديثة، ومبرر هذا كالاتي:

2- أساطير الثالوث اللائكي للحداثة (أسطورة التحكم في الكون، التقدم، السعادة):

لقد مضى موران، في إجراءات التحري الفكري معتمدا في ذلك على الاستقراء النقدي للتعرف على ما تحمله مرتكزات الحداثة من نهايات مأزومة، تطالها ثلاثة أساطير كبرى، إنه الثالوث اللائكي المعادي للدين، الذي كان معلمو العلم الحديث، يؤمنون به إيمانا حاسما والمتمثل في "أسطورة

التحكم في الكون التي قال بها كل من ديكارت Descartes بوفون وماركس، وأسطورة التقدم والضرورة التاريخية التي باتت تفرض نفسها مع لوك دورسي Lokersee، وثالثة هذه الأساطير، أسطورة السعادة".¹⁵ إن هذا الوعد العظيم بالسيطرة على الطبيعة، ووعد الوفرة المادية والسعادة غير المحدودة والحرية المطلقة، يمثل الثالث الذي تشكلت منه نواة دين جديد اسمه التقدم، فقد جعل هذا الأخير الإنسان متمركزا حول عالم الأشياء، ومليك العالم بأسره مقتدرا على تغييره وخلقه من جديد، أشبه بما تفعله الآلهة، وهو ما يعبر عنه الفيلسوف المعاصر "إريك فروم" Eric Fromm في قولته التالية "لقد جعلنا التقدم التكنولوجي وكأئنا قادرين على كل شيء، كما جعلنا التقدم العلمي، وكأئنا عالمون بكل شيء، كنا على الطريق لكي نصير أشباه بالآلهة"¹⁶. وبهذا أضحى العلم واهبا للمعنى ومبشرا بالخلاص الدنيوي، وقادرا على أن يعطي لكل شيء، معناه وقيمه تماما مثل الدين، لذلك كانت هذه الوعود التي وعد بها الفكر الحداثي- كما ألمعنا آنفا - محط الآمال، ووكد الإنسان الحديث، ومنبع الإيمان للأجيال منذ عصر النهضة، ويوم موعود بفردوس الأرضي،¹⁷ بتوصيف "مرسيا اليا" Mircea Elide، حيث يصبح الإنسان في هذا الفردوس كائن (أعلى، سوبرمان)، بيد أن ما بدا واعدًا قد أخلف وعوده، فقد انتهى هذا الحلم إلى نهايات مأزومة، وبيان ذلك فيما يلي:

بالرغم من أن العلم ينتج معارف جديدة، تُثور معرفتنا بالعالم، وتمدنا بقدرات هائلة لتنمية حيواتنا وتطويرها، إلا أنه أنتج في المقابل، وسائل وأسلحة للدمار وموت الإنسان، وهتك محيطه الحيوي. وتتواصل الأزمة مع النظام المعرفي الحداثي، الذي يقوم على مبدئين: مبدأ الاختزال Disjonction، الذي يقتضي إرجاع المجموع إلى أجزائه، والفصل بمعنى فصل المعارف عن بعضها البعض، وهذين المبدئين غير قادرين على استيعاب تعقيدات

العالم¹⁸. وفي هذا يقول موران "إننا نحيا تحت سلطان مبادئ الفصل والاختزال والتجريد، التي تشكل في مجموعها ما أسميه بـ "منظومة التبسيط" (التي أنتجت العقل الأعشى) الذي يدمر المجموعات والكلية ويعزل كل موضوعاتها عن بيئتها، ليس باستطاعة العقل الأعشى أن يتمثل الرابط غير القابل للقطع بين الملاحظ والشيء الملاحظ"¹⁹.

وتبعاً لهذا، نجد أسطورة السعادة هي الأخرى في أزمة التي تستطلع أزمات شتى: ذلك إن إشباع كل ما يعني الناس من رغبات من غير قيود لا يوصل للحياة الطيبة، وليس هو السبيل إلى السعادة، ولا حتى المنفعة القصوى، فقد أنتجت هذه الأسطورة نزعة فردانية عميقة، التي تنتج بدورها العزلة والتعاسة وأزمات روحية ونفسية، واستتباعاً للأزمات السابقة، تطالها أزمة الأسس التي أعلنها "نيتشه" في القيم الأخلاقية، حيث أضحى الفكر فاقداً للبوصلية والسلوك، وفاقداً للمعيارية المتعالية، والسبب هو هذا الفصل الاستيمولوجي الذي أقامته الحداثة بين القيم الأخلاقية وبين أسس المعرفة والحياة²⁰. فلقد كان تأسيس القيم قبل تجربة الحداثة واضحاً مثلما يقول موران "الله هو من أعطى شرائع للبشر، والدين هو أساس القيم الخلقية، لكن حصل تبدل مع تنامي الاستقلالية والمسؤولية الفردية، لأن الإلزام لم يعد يأتي من الله ولا من الدين ولا من الدولة، وإنما من الفرد ذاته، وفقاً لنظرية الإلزام الجازم عند كانط E. Kant، لقد أصبح هذا الإلزام معزولاً، ينتج ذاته ويبرر ذاته"²¹، مما أدى إلى تنامي ظهور الفردانية، وتمجيد الحرية، وظهور أزمات روحية فكرية، فالحضارة المادية خلقت فراغاً روحياً وطلافاً بين الجسد والفكر. ويرى موران في هذا الصدد، أنه بالرغم من أن أسطورة التحكم في العالم، مكنت الإنسان الغربي من التحكم في القوى المادية في العالم، إلا أنها ضيعت الكثير من الجوانب الحيوية الفاعلة في حياتنا الإنسانية²².

3- أسطرت الأفكار المجردة، أو عندما تتأله الأفكار:

نروم في هذا الجزء إلى بسط الكلام في كيفية ولوج الأساطير إلى العالم الفكري، وفق منظور موران. صحيح أن الدراسات البنيوية للفكر الأسطوري أو الديني، تمكنت من الكشف عن هيكل العام للعالم النولوجي (الفكري)، لكنها لم تقم بالكشف عن حياتها وقيمتها، وهذا ما فعله بالضبط فيلسوفنا في كتابه المعنون "المنهج، الأفكار مسكنها وحياتها وطبائعها وتنظيمها"، حيث تمكن برؤيته التركيبية الراصدة والملاحظة، من الكشف عن مكنون عالم الأفكار، فقد قام بمساءلته وفهمه من حيث طبيعته وتنظيمه وشروط انبثاقه. وتوكل على آلياته التحليلية والنقدية، عمل على تحقيق في الأفكار والنظريات والمذاهب والإيديولوجيات التي تضم أساطير سرية.

والمتمعن في صيغة عنوان الكتاب (الأفكار مسكنها وحياتها وطبائعها وتنظيمها) يتبين له أن "موران" يماثل المجال الفكري بالمجال الحيوي، فالأفكار عنده "تولد وتموت، تتطور وتتجدد، تتكاثر وتتواصل فيما بينها" "فحياة كائنات العقل، مثل كل حياة تتجدد باستمرار" 23، وتتكاثر من خلال الكثير من شبكات التواصل الإنساني، عبر الخطاب والتربية والتلقين، ووسائل الاتصال الحديثة التي تزيد من إمكانية إنتاج كائنات العقل ومكوناتها، تماما مثل عالم النبات والحيوان، حيث يستمر في التطور والتجدد والتكاثر في المجال الحيوي. وفي هذا يقول موران "تتوالد كائنات العقل عبر الازدواجية، تتكاثر الفكرة والأسطورة، وتظل هي عينها في الوقت ذاته، تماما مثلما يتكاثر الفيروس إلى ملايين ويظل هو عينه والبكتيريا نفسها، كذلك تظل الفكرة أو الأسطورة المتكاثرة هي عينها، وتشكل كائنات العقل هاته نفس الكائن الواحد الذي يكبر "الأسطورة والفكرة" 24.

وارتكازا على هذه الطريقة في النظر إلى الأمور، يبين لنا موران، أن الفكر الأسطوري لم يطاله بعد الاضمحلال والأفول، وإنما قد تطور وانتقل وتحول

وفتح أساطير جديدة، هذه الأخيرة تجد وجهتها في قلب الأفكار ذاتها، فقط الأساطير الجديدة لا تعيد بتاتا، "إدخال التفسير بواسطة الفيزيائي والعام والمجرد، بل إن العيني المعيش الذي يتسلسل إلى الفكرة المجردة أو العامة هو الذي يجعلها حيّة"²⁵.

ومحصلة القول مما سبق أن الأسطورة الجديدة لا تلجأ إلى الآلهة والأرواح مباشرة؛ بل تركز اهتمامها على الفكرة وتروحنها وتؤلّوها من الداخل، كما أنّها لا تلغي المعنى العقلاني من الفكرة المزيفة، بل تعقلنها وتحملها بحمولة معنى زائدة وبهذا نكون خدّاما للأفكار التي تخدمنا، فيمكن بحسب موران ، أن نموت أو نحيا من أجل الفكرة، كما نفعل ذلك تماما من أجل الإله، ومبرر هذا "أن هناك مذاهب بدءا بالحتمانية، تفرض الطاعة، مثل الآلهة، على العالم، يمكن أن تتسرب نفس القوة التي تنشط الأسطورة والإيمان إلى الإيديولوجيا. لقد تسربت العناية الإلهية خلسة إلى عقل عصر الأنوار بل وأصبحت الهته (...) ودخل الخلاص إلى التاريخ الدنيوي، وتجسد منقذ جديد في البروليتاريا، فصارت المادة العلمية بذلك الدين الأكبر للخلاص الأرضي"²⁶. وبهذا أنتج الإنسان الحديث مملكة من الأنساق الفكرية(مذاهب، نظريات علمية، فلسفات، ايديولوجيات) وجعلها في أعلى العليين، بل وعمل على تأليهها وتقديسها، وبهذا أضحت الأفكار هي التي تنتجها، في الوقت الذي هو أنتجها.

ثانيا: الأشكال الجديدة للميثولوجيا: نبوءة الايدولوجيا السياسية الواعدة بالخلاص الدنيوي:

لطالما كان حلم "بيكون" Bacon، بأن يجعل الإنسان سيّدا على الطبيعة، كما أنه سعى في أن يحرره من جميع الأباطيل والأوهام، والتي عددها بطريقة منهجية في كتابه "الأورغانون الجديد" والمتمثلة في: أوثن

الكهف، أوثان السوق، أوثان المسرح، بغية تأسيسه لعلم تجريبي خالص، غير أن "السياسة لم تهتد بعد إلى هذا الاتجاه، فالأوثان السياسية (أوثان السوق)، هي من أخطر الأوثان وأبقاها"²⁷. ولهذا فإنّ الظاهرة الجوهرية لهذا القرن، هي التدفق الديني والأسطوري للإيديولوجيات السياسية الكبرى. وأولاهما بالتقدم الماركسيّة، فقد عمل "ماركس" على إغناء تلك الأسطورة الشهيرة، مستفيدة من الإيديولوجيات المبشرة بالخلاص في كلا من المسيحية واليهودية، هنالك من جهة أولى دور النبوءة والوظيفة الإنقاذية التي يؤكدها إلى البروليتاريا، ومن جهة أخرى هناك الصراع النهائي بين الخير والشر. و نفهم من هذا أن الماركسيّة تريد أن تجعل من نفسها، مذهب معصوم وإنجيل لكل الحقائق.

والمقاربة المورانية تكشف لنا أنّ الماركسيّة تستعمل الإيديولوجيات أداة إلى أقصى حد، بغية تحقيق مصالحها أو سلطتها التي تعمل على إخفائها من وراء عبارات تبدو نبيلة وكونية، وبهذا تكتسي حالة مشعة محبوبة، وتحمل المفاهيم المضادة لها (الديمقراطية) شحنة شيطانية مكروهة، وتوكل لنفسها هداية البشرية وتتوعد بالخلاص الدنيوي، فوعودها هي أفيون للشعوب تتوعد بها في كل حين لتنال مرغوبها.²⁸

غير أن هذا الأمر لا يقتصر فقط على الماركسيّة فحسب، بل إنّ الديمقراطية هي الأخرى تتساق معهما في المهمة ووفق منظور موران، فإنّ "الديمقراطية تشتمل في طياتها أسطورة الثالث الكبرى الحرية المساواة، الأخوة، إنّها تحمل الأمل والوعد بالتححر، حيث يوجد الخضوع والديكتاتورية والحكم الشمولي كما أنّها تحتوي على نواة العلمانية حيث تتحول مفاهيمها إلى الوجود، وتصير سيّدة، بل كائنات إلهية".²⁹

كما أنّ الديمقراطية لا تختلف ألبتة عن الماركسيّة، فهي لا تمل من إعطاء الوعود الكاذبة بالخلاص الدنيوي، لكي تحقق مقصودها، وبهذا فإنّ

الأساطير السياسية الحديثة بتوصيف كاسيرر "شبيهة بالحية التي تحاول شل فريستها قبل أن تفترسها، والناس يقعون في أسرها بغير أن يظهروا أية مقاربة جادة لها (...) إنّ أسطورة الأجناس قد أحدثت أثرا قويا مماثلا لتأثير الحيوانات القارضة".³⁰

وزيادة على ما أوردناه، نرى أن أرنست كاسيرر قد ألمح بأن الانسان الحديث، لم يتنازل بعد عن الاعتقاد في وجود نوع من السحر الاجتماعي، ودليل ذلك أنه "لو شعر الناس برغبة جماعية، وتركزت هذه الرغبة واشتدت، سنُيسر اقناعهم بأن كل ما يلزم لتحقيق هذه الرغبة، هو اختيار الرجل الصحيح القادر على ذلك".³¹ وبالفعل فإننا نجد الناس يؤمنون بالرجل العظيم، باعتباره المنقذ الوحيد لعصرهم، فقد أكد كارلايل Carlisle القول بضرورة مشاركة عبادة الأبطال في التاريخ الانساني، فهذه الفكرة موجودة مادام الانسان موجودا³²

تبقى نظرية كارلايل نظرة رومانتيكية الى البطولة، فهي لم تبد في نظره اتجاهها سياسيا محددا. بمعنى أنها بعيدة كل البعد عن النظرات الواقعية السياسية في عصرنا الحالي. بينما كاسيرر نلقفه يعاين وبتبصر، الأساطير التي ابتدعها السياسيين المحدثين، بحيث "لجأوا الى وسائل أكثر فاعلية و خشونة. و قاموا بحل مشكلة تتشابه في جملة نواح مع مشكلة اثبات أن المربع دائرة"³³، أي أن السياسي الحديث يجمع في نفسه بين مهمتين متناقضتين، فنجدته يتبع السحر والمنطق معا. فهو يخلق دين جديد، يسوده الابهام والغموض، ويخلو من أي جانب معقول، ولكنه عندما يدافع عن هذا الدين لترويجة، نراه يسلك مسلكا منهجيا ومنطقيا. وفي هذا يقول كاسيرر "ان هذا الربط الغريب بين المعقول والغير المعقول، من أهم الملامح المثيرة للدهشة في أساطيرنا السياسية الحديثة"³⁴.

لطالما وصفت الأسطورة بأنها نتيجة لفعل لاشعوري ولانطلاق الخيال، ولكننا نجد في الأساطير السياسية الحديثة، أن الأسطورة تتبع مخططاً ممنهجاً، فهي لا تظهر عشوائياً" فلقد كتب على القرن العشرين أي عصرنا التقني العظيم، النهوض بفن أسطوري جديد. ومنذ ذلك العهد، أصبح من الميسور صنع الأساطير على نفس الوجه الذي يتبع عند صنع أي سلاح حديث آخر، كالرشاشات والطائرات".³⁵ فالرغم أن هذه التقنيات الجديدة أحدثت انقلاباً شاملاً في حياتنا الاجتماعية، إلا أنها تتخذ الطابع الأسطوري ابتدعه صناع ماهرون وماكرون في الآن نفسه.

لو تعمقنا في دراسة الأساطير السياسية الحديثة، وعرفنا طرق استعمالها، لبدت لنا شيئاً غريباً مثيراً للدهشة، "فهي لم تكتف بإعادة تقويم كل قيمنا الأخلاقية، ولكنها قامت بتحويل الكلام الانساني. لقد أصبح المفهوم السحري للكلمة ... مشحونة بانفعالات وأهواء عنيفة".³⁶ وبهذا ندرك جلياً أن الأساطير السياسية تتفنن في خطابها، فهي تسحرنا بكلامها المثير، وخاصة عند حديثها عن الوعد بالخلاص الدنيوي.

والملاحظ أن البراعة في استعمال الكلمة السحرية لا تكفي، بل يجب أن يكون هناك تأثيراً كاملاً للكلمة، ولهذا فقد ينزع السياسيون إلى اضمحاء بعض الطقوس الجديدة عليها، لكي يكون للكلام وقع خاص. فلكل عمل سياسي جانب طقوسي خاص به، وبالفعل فقد أبدى الزعماء السياسيون في هذا المنحى نجاحهم وبراعتهم في هذا الأمر، "فلما كانت الدولة الشمولية لا تعترف بوجود أي نشاط فردي مستقل في الحياة السياسية، انغمرت حياة الإنسان برمتها في غمار الطقوس الجديدة. وتتميز هذه الطقوس بتراتبها وصرامتها وتزمتهما، كالطقوس التي نصادفها في المجتمعات البدائية. ولكل طبقة وجنس وجيل من الأجيال الطقوس الخاصة به. فلا أحد يستطيع السير في الطرقات، ولا أحد يستطيع تحية جاره أو صديقه. دون القيام بأحد الطقوس

السياسية".³⁷ وبهذا نستنتج أن الأساطير السياسية قد أحدثت أثرا قويا في نفوس المجتمعات، فهي تهدف الى تغيير الناس؛ حتى تستطيع تنظيم أفعالهم والتحكم فيها.

ويرى كاسيرر أن الزعماء السياسيين في الدول الشمولية "مسؤولون عن كل المهام التي كان يضطلع بأدائها السحرة في المجتمعات البدائية، فهم يحكمون حكما مطلقا، ويمارسون الطب، ويعيدون بمعالجة كل شرور المجتمع"³⁸. وبهذا يتبدى لنا أن الساسة قد تحولوا الى كهنة، يتنبؤون بالمستقبل، وما من شك أن تنبؤاتهم تختلف عن النبوءات البدائية، بمعنى أن تكهناتهم ارتقت وتطورت، حتى أصبحت أعظم صقلا وبراعة، أي أصبح لديهم أساليب تزعم أنها علمية وفلسفية.

وحجة ما قد سبق قول كاسيرر "أصبح الساسة نوعا من العرافين في المسائل العامة، وأصبح التنبؤ عنصرا أساسيا في فن الحكم الجديد، وأصبحت الوعود تلقى بغير حساب بغض النظر عن استحالتها أو عدم امكانها، فهناك وعود يوتوبية متعددة يتكرر الوعد بغير انقطاع"³⁹. ومن خلال هذا القول، ندرك جليا، بأن الأساطير الحديثة، وخاصة السياسية، تمارس الهيمنة والتسلط، بوعودها وأمالها الكاذبة، مما يجعلها مختلفة عن الأساطير القديمة.

ثالثا: إحياء الميثولوجيا في العالم الفني:

للهرب من الواقع المرير والالتحاق بالزمن الأول المقدس، تمكن الإنسان المعاصر من خلق أساطير جديدة، وذلك من خلال العروض الفنية، وهذا ما يقرّ به موران في قوله التالي: "لقد استطعنا التساؤل حول إحياء الأساطير في الحقل الجمالي لفنون الجمهور الجديدة: الرواية الشعبية، السينما التلفاز"،⁴⁰ بل حتى الألعاب الرياضية، كفنون مصارعة الثيران وتسابق الخيول والألعاب الأولمبية. تعتبر شكلا من أشكال خدمة الآلهة،

فكل هذه الفنون لها أصولا طقسية وتعتبر أفعالا مقدسة، فهي من مخلفات زمان السحري الديني القديم أوهي البديلة عنه.⁴¹

فلقد خضع الإنسان المعاصر بحسب رأي موران إلى تأثير ميثولوجيا واسعة وفي الوقت ذاته نجد أنه قد عرف انتشارا رهيبا للمعرفة العلمية والتقنية، فبالرغم من أنها اتخذت الشكل العلماني البعيد عن القداسة، إلا أن صورتها الأسطورية تبقى ماثلة للأذهان، كما أنها لا تزال حية في كل مكان، بالإضافة أنها لا تختفي من الفعالية النفسية.⁴²

واستكمالا لما سبق بيانه ، فإن الانتاج الأدبي، بكمه الهائل، جعلنا نألف العثور على الميثولوجيا في الفعالية اللاشعورية عند الفرد. فلو ارتأينا الى الأدب العالمي، لثقفنا السريالية قد حققت انطلاقة مذهلة في تناول الموضوعات الأسطورية والرموز الأولية. أما بخصوص الأدب الشعبي الفاعل في الجماهير، فإن بنيته الأسطورية واضحة للعيان. ذلك أن كل رواية تعرض الصراع بين الخير والشر، وبين البطل والمجرم. كما أننا نلمح في الروايات موضوعات أسطورية بوفرة.⁴³

وهذا ما نلاحظه أيضا في الشعر، الذي ينهل من الأسطورة ويواصل تناول ملامحها؛ فالشعر هو " جهد يبذله الشاعر من أجل إعادة خلق اللغة، جديدة شخصية وفردية، وهي في نهاية الأمر سرية التي تستلزم الغاء الزمان والتاريخ المركز في اللغة. ويطمح الى الالتحاق بوضع فردوسي أولي، حينما كان الابداع يتم بصورة عفوية... ان الشاعر يكشف العالم كما لو كان شاهدا على خلق الكون"⁴⁴. ووفق مرسيا الياد Mircea Eliade فان الشاعر يعيد صياغة العالم، كما لو أن الزمان والتاريخ لم يكن لهما وجود، وهذا ما يماثل سلوك انسان المجتمعات البدائية التقليدية.⁴⁵

وفي السياق نفسه، يطالعنا موران بحساسيته الجمالية، في كتابيه المتميزين، "نجوم السينما" و "في الجماليات"، الى التماس الطابع الأسطوري

السحري الذي تخلقه لنا السينما باعتبارها فن عظيم ، فلقد " تغذت السينما أكثر من الرواية، من طبقات عميقة، حيث يفرز العقل البشري السحر والأسطورة. لقد خلقت أساطيرها عبر ... الاثارة والشخصية".⁴⁶ وليس هذا فحسب، بل عملت السينما على تأليه الممثل والممثلة ولو بشكل جزئي ليصبح نجما.

فالممثلون الأبطال يشتغلون بين الآلهة والبشر الفانيين، بمعنى أنهم يتطلعون الى وضع الآلهة ، وفي نفس الوقت يطمحون الى تخليص البشر من يؤسهم اللامتناهي. وهم باقتراهم من الآلهة والبشر، يكونون أسطوريين، يسمون -بتوصيف موران- أنصاف الآلهة. وهذا ما نلمسه في قوله التالي " ان أبطال الأفلام، أبطال المغامرة ، والحركة والنجاح، و المأساة، والحب، وحتى أبطال الهزل، هم وان بشكل مخفف، أبطال بالمعنى التأليهي للأساطير".⁴⁷ يتبين من هذا القول أن السينما تجعل من النجم "الممثل او الممثلة" مؤلها ومؤسطرا، كما تجعل منه معبودا للجماهير.

و الحري بالبيان ، أن سيرورات التأليه في نجوم السينما، ليست أحادية الشكل، بل هي متعددة، بمعنى أن هناك نماذج عدة للنجوم، " ابتداء بنجوم الحب الأنثوي (من ماري بيكفورد الى مارلين مونرو) حتى النجوم الهزليين (من شارلو الى قرناندیل)، مرورا بنجوم البطولة والمغامرة الرجولية (من وغلاس فربانكس الى هامفري بوجارت)".⁴⁸

أكثر من ذلك، درس موران بنى التأليه الاكثر ادهاشا، من بينها أسطورة الحب، حيث لاحظ أن " أبطال الأفلام يلتقطون أسطورة الحب ويمجدونها...ان العاشقين والعاشقات يخيمون على الشاشات، يثبتون فوقها سحر الحب، ويغمرون ممثلي أدوارهم بالفضائل التأليمية، لقد صنعوا لكي يُحبوا ويحبوا، وهم يشدون اليهم تلك الاندفاعات العاطفية الرحبة، التي هي عبارة عن مشاركة المتفرج في الفيلم".⁴⁹ وبهذا يغدو الحب أسطورة تأليمية،

كما أن الوقوع في العشق هو إضفاء الطابع المثالي على المعشوق وعبادته. وبهذا المعنى يكون كل حب نوعاً من الغليان الأسطوري.

واعتباراً للتحليل السالف، يأخذنا موران إلى تذوق سحر الحالة الجمالية التي تبدها السينما، فيقول "تحدد ظلمة القاعة تلقائياً شبه منوم للفيلم، والذي يعزز المشاركة النفسية في الحركة والتقمص، الإسقاط للشخصيات الممثلة في الصور المتحركة (المحركة)، اننا نبتسم ونضحك ونستمتع ونحب وعشق، لكننا نبكي ونخاف أيضاً"⁵⁰. وهي بهذا تعرفنا على العاطفة، والتمتع الجمالي، وأكثر من ذلك، فهي تجعلنا شبه متملكين، فهي تملكنا من قبل شخصيات الفيلم، وشبه سحر من قبل المشاهد المتتالية. لكنه سحر يكون فيه الوعي متيقظاً، إنها حالة جميلة نعيشها حقاً بعواطفنا المختلفة، فرحاً وسعادة وخوفاً وألماً وحزناً.

يرى موران أن كل ما هو ممثل، في "صيغة صورة ذهنية، أو مرسومة أو مصورة في فيلم، يحمل في حد ذاته "سحر الصورة"، فعلى الرغم من تجرد الصورة من المادية التجريبية، إلا أنها تحمل سمة جديدة خاصة بكل انعكاس الواقع"⁵¹. وبهذا تنتشلنا الأفلام والمسلسلات إلى سحر الصورة، بحيث تبهرننا بجمالياتها الفائقة، وخلقها لواقع جذاب يفوق خيالنا.

يقال: إن الفنون هي "أسلم وسيلة للهروب من العالم، وهو أسلم وسيلة للالتحام فيه"⁵²، وبالفعل فنحن نجد في الفيلم هروباً من الواقع، وفي الوقت نفسه نلحظ واقعا مبالغاً فيه، فالمسلسلات المتلفزة تنقل لنا على الدوام مشاكل الحياة وقضايا المجتمع، مثل الحب والطموح والخيال والخيانة والمرض والمصادفات، في الأفلام الحزينة مثل التراجيديات القديمة، بحيث تجعلنا نغوص في أعماق روحنا ووجودنا، أو ننزل إلى كهوفنا الداخلية، حيث يسود العنف والصراعات والمكبوتات التي تؤرقنا على الدوام، فالفيلم يغير ما

هو بشع في الحياة، ويمنحنا الرغبة في التغيير مع الإحساس بالنشوة أو الانبهار.

يتغذى مشاهدة الفيلم على حد تعبير موران "على القلق في مشاهدة الترقب، وعلى الأموات في الأفلام المثيرة، وعلى الآلام من خلال الأحزان والعذبات والمحن والأوجاع التي يعاني منها الأبطال"⁵³، وهكذا فإننا نجد العروض التراجيدية تتواصل مع أعماق الحياة، وتنقل لنا معاناة ويغدو ما هو غير محتمل محتملا بفضل جمالية الفيلم.

وبهذا يدعو مرسيا الياد إلى "اكتشاف الينابيع الروحية للفنون، في نفوسنا، وينبغي أن نكون على علم بما يبقى في أيامنا أسطوري في حياة الإنسان الحديث، وبما يبقى بالفعل حاملا لأوصاف الأسطورة، لأن السلوك المشبع بالمناخ الأسطوري باعتباره معبرا عن القلق حيال الزمان ويلازم بدوره في العمق الشرط البشري"⁵⁴. بناءً على هذا القول، نفهم بأن الأسطورة ملازمة للوضع الإنساني، فهي متجذرة في كينونته، حية وفاعلة تلاحق وجوده الأنطولوجي.

رابعا: صعود فكرة الإنسانية إلى المجد الأسطوري: أو نحو إعادة بعث أقاليم الحب، الأخوة، الإنسانية.

الحق أنه من يمعن النظر في فكر موران، يستطلع فيه البعد الكوني، الذي نلمسه كلما تطرقنا إلى نظرية الفكر المركب⁵⁵ Pensé Complexe، فخطابه هو تعبير عن الكونية التي تقبل بالتنوع، فهو يحمل رسالة كونية تقديس الإنسانية، فإذا ما رجعنا وراجعنا كتاباته الفلسفية ألفتناه، يهدف إلى تعليم العقول الشرط الإنساني وإدراك تعقيداته، فقد وضع موران، خطاطة عقلانية وإنسانية من أجل سياسة الإنسان، هذا الأخير الذي ارتقى في أحضان العلم الذي لا يفكر. ومن هذا فإن موران يدين بدين الحب والإخاء والإنسانية، كما أنه يدعو إلى إعادة بعث شعيرة الحياة، التي لا

يمكن أن يستسيغها عقل الإنسان الحديث المختزل؛ ذلك لأنه تجاهل بعدا أساسيا، وهو أن الكائن البشري لا يحيا بالعقل وحده الذي يقتل الحياة، كما أنه لا يحيا بالكم والتقنية وبالإثبات المنطقي الشاحب، الذي يتقن الأحكام واللزم، وإنما يحيا أيضا بالحب وبالموسيقى وبالإخاء وبالشعر وبالابتسامات، وهذا بالضبط ما يؤكد عليه موران في قوله التالي "إن الحياة البشرية بها حاجة إلى تحقيق تجريبي، وتصحيح منطقي، وممارسة البرهنة، لكنها أيضا بحاجة إلى أن تتغذى بالإحساس والتخيل والحب الذي يغذي جميع المصادر الخيالية، ويثير العشق إلى حد العبادة والحماسة، ويخلق في جميع الحضارات أسطورة رائعة ويقود إلى أقصى أشكال الذروة الشاعرية".⁵⁶

وبناءً على القول السابق؛ فإن الإنسان وفق منظور موران، يسكن الأرض شعريا ونثريا؛ فالمقصود من أن نعيش الحياة شعريا، هو أن نحصل على انشراح وبهجة ونعيش في تآلف ووحدة، فهذا الإحساس يعطينا الحب. أما العيش بطريقة نثرية، فهي تسمح لنا فقط الاستمرار في العيش، " فكل شيء من شأنه أن يقدم لنا إحساس بالجمال يساعد على إضفاء قيمة شاعرية على الحياة".⁵⁷

إن تراجيديا الإنسان الحديث، يدركها موران في هذا الانهمام نحو الحياة النثرية، التي تتناسى الأسس الشاعرية للإنسان، التي منها تشتق ماهيته. وفي هذا يرى موران أن النثر الذي تتسم به حضاراتنا يحث على أولوية الاقتصاد، واجتياح الزمن المبرمج على حساب الزمن الطبيعي، وتضييق الفتحة البيروقراطية التقنية على عالم مجزئ ومقسم، الذي يهيمن عليه الإشعاع الذري والمال، كما أنه يسهم في انهيار الآمال الشعرية الكبيرة. ويتبعه مجيء المساحة النثرية الليبرالية الاقتصادية المنتصرة التي ستموت بفعل نثرها⁵⁸، ونتيجة لذلك، أخفقت أساطير الحداثة، لأنها لم تشبع بروح

التعاطف والرحمة، واحترام وتقديس كل أشكال الحياة، أو من ما يسميه كونفوشيوس اللين⁵⁹.

وعلى هذا النحو، نستبين أن الفكر التركيبي جاء من أجل أن يعيد اللحمة الاستمولوجية، بل والأنطولوجية بين الشق العقلي والمنطقي (النثري)، الذي ألهمه الإنسان الحديث، وبين الشق الوجداني والشاعري الذي أهمله العلم الحديث الذي لا يشعر. وإضافة إلى ذلك محاولة الفكر التركيبي أن يجعل من (الحب) الدين الأكبر للإنسانية، وأن يعيد كل ما أماتته الحداثة والتقنية من مشاعر إنسانية. وموران بفكرته هاته، يعيدنا إلى الديانة المسيحية، في حديثها عن الرحمة والأخوة، والمحبة، بالرغم من عدم اعترافه بوجود إله خالق. إلا أننا نجد خلفية دينية في فكره المعقد. وكأننا هنا أمام تراجيديا الإله المقتول الذي يموت وينتظر الناس عودته مرة أخرى (اوزيوس Ozius، ديونيسوس Dionysies، عيسى بن مريم) الإله المتأنسن المعبر عن الأشواق الإنسانية الساعية إلى الحياة والإبداع والتجديد، ونشر قيم المحبة والإخاء، فهو الإله لا يقصي الإنسان ولا يستبعد الحياة، ولا يعالج العلاقة بين الإنسان والله على أساس جدلية السيد والعبد، وإنما من خلال جدلية الحب، إنه إله عاشق للفن والحياة. إله غير منفصل ومفارق عن العالم الإنساني.

خاتمة:

وفي الأخير، ما يمكن أن نستخلصه، بناء على ما سبق بيانه في التحليل، أنّ الفكر الديني والأسطوري لم ينقطع تأثيره وفاعليته، ولم يبق دائرة تأثيره على الفكر اليوناني فقط، بل إنه يمارس حضورا مكثفا في عالم الإنسان الحديث وأنماط معقوليته، فقد جرى تشغيل الفكر الديني بأشكال مغايرة، وبتمظهرات علمانية جديدة، فهو يعمل على تبديل ملامحه، وتمويه وظائفه،

في كثير من المواضع سواء أكانت سياسية إيديولوجية، علمية، اجتماعية، ثقافية، أو فنية، وخاصة موضع النولوجيا (الأفكار)، وبحسب تفكير موران، أن الفكر الديني والأسطوري، قد تطوّر وانتقل وتحول وفتح دين وأساطير جديدة، حيث تُحدد وجهتهم في قلب الأفكار ذاتها.

ونفهم من هذا أن هناك أساطير وديانات جديدة تختلف عن سابقتها، فالأسطورة الجديدة لا تلجأ إلى الآلهة والأرواح مباشرة، بل تركّز اهتمامها على الفكرة وتروحنها وتؤلّهمها من الدّاخل، وبهذا يمكننا أن نعتبر- كما بيّنا أنفا- الشّيوعية والليبرالية أو العلم أو الفن كديانات جديدة بحسب موران، لكن السؤال الذي نطرحه هنا: هل يمكن أن ينبثق الدّيني من اللاديني؟ وبعبارة أخرى هل يمكن للناقص الكمال (كالإيديولوجيات السياسية الواعدة). أن يكون معياراً للكمال؟

وفي سياق الفهم الموراني للفكر الديني والأسطوري، نستخلص إلى أنّه لا يمكننا أن نراهن ونقول يلاحقنا بفكرة عودة الدّيني كما هي موجودة في الخطابات المعاصرة عند (ليفيناس Levens... الخ) لأنّ الدّين لم ينقطع حتّى يعود، ومبرّر هذا: أنّ الفكر الديني والأسطوري، متجذّر في كينونتنا، حي وفاعل، إنّهُ مطلب إنساني أساسي. فلا نستطيع أن نمحى فاعلية المقدس من نفوس البشر، إذ لا يمكننا أن نتصوّر مجتمع في غياب الدّين، كما أنّ مراهنة الإنسان الحديث على فكرة موت الدّين ليس لها أساس من الصّحة. ذلك أنّ فكرة الدّين لن تنتهي أبداً، فهو ملازم لهذا الكائن العاقل، ويكفي أن نقول أنّ آخر إله سيموت بموت آخر هو الإنسان وليس الدّين.

الهوامش:

- ¹ - الليثوروجي: من أصل يوناني، وتعني العمل العام. المقصود بها في المسيحية، مجموعة القواعد العامة النازمة للعبادات ولأداء الشعائر. ويعني الزمان الليثوروجي، زمان الطقوس والعبادات. أنظر الى: مرسيا الياد، الأساطير والأحلام والأسرار، ترجمة، حسيبة كاسوكة، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية، دمشق، الطبعة الأولى، 2004، ص31.
- 2- الموناد باليونانية "موناس Monas وتعني الوحدة a unir ، مصطلح قديم جدا، من أصل فيثاغوري، والذي يعني بصورة أساسية العدد واحد. وفيما بعد أصبح يشير الى وحدة فردية أو جواهر فردية أو ميتافيزيقية. استعمله المؤلفون المسيحيون بمعان شتى، فقد استخدم لدى جيوردانو برونو، للدلالة على العناصر الطبيعية أو النفسية اللطيفة التي صنع منها العالم. انظر الى: أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تعريب، خليل أحمد خليل، دار منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثانية، 2001، ص828.
- وقد صار المصطلح مشهورا بفضل لايبنتز، الذي عرف المونادات بأنها جواهر مفردة ميتافيزيقية، أو نفوس غير ممتدة، نشطة، غير قابلة للانقسام أو التحطيم بطريقة طبيعية، كما أنها جواهر غائية تترابط بصورة مثالية في نسق يتصف بسبق التوافق. وهذا يعني أن المونادات جواهر مفردة مكتفية بنفسها. تطور نفسها من الداخل، وتتميز بالإدراك والنزوع والتلقائية. صفاء عبد السلام جعفر، قراءة للمصطلح الفلسفي، تقديم، حبيب الشاروني، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 1998، ص55، 56.
- 3- موران إدغار، من مواليد 1921م، مدير بحث في المركز الوطني للبحث العلمي CNRS، ورائد لفكر التعقيد، وكاتب للعديد من الإصدارات السوسولوجية والفلسفية أهمها: الإنسان والموت L'homme et la Mort، ومدخل إلى سياسة الإنسان Introduction à une politique de l'homme، المنهج Le méthode، العلم والوعي Science avec conscience.
- Voir : Edgar Morin, Taraq Ramadan, L'éthique aujourd'hui entre théorie et pratique, Elle Borane, 20014.
- 4 - بن نبي مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دار الوعي الجزائر، (د. ط. ن)، 2012، ص17.
- 5- ارمسترونغ كارين، تاريخ الأسطورة، ترجمة وجيه قانصو، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص8.
- 6- ارمسترونغ كارين، المرجع السابق ، ص10.
- 7- المرجع نفسه، ص 10، 11.
- 8- المرجع نفسه، ص16.
- 9- المرجع نفسه، ص117.
- 10- المرجع نفسه، ص 118.

- 11- المرجع نفسه، ص 19.
- 12- موران إدغار، المنهج، الأفكار مسكنها وحياتها وطبائعها وتنظيمها، ترجمة يوسف تيبس، إفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط. ن)، 2013، الجزء الرابع، ص 374.
- 13- موران إدغار، المنهج الجزء الرابع، الأفكار، مصدر سابق، ص 374، 375.
- 14- كاسيرر أرنتست، الدولة والأسطورة، ترجمة أحمد حمدي محمد، المكتبة العربية المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية القاهرة، (د. ط. ن)، 1975، ص 387.
- 15- موران إدغار، هل نسير إلى الهاوية؟، ترجمة عبد الرحيم ندل، إفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط. ن)، 2012، ص 25.
- 16- فروم اريك، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (د. ت. ن)، الكويت، (د. ط. ن)، ص 25.
- 17- أنظر الياد مرسيا، البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، ترجمة سعود المولى، مركز الدراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2007، ص 192.
- 18- موران إدغار، هل نسير إلى الهاوية؟، مصدر سابق، ص 26.
- 19- موران إدغار، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة أحمد القصور ومنير الحجوب، دار: توبقال، المغرب (د. ط. ن)، 2004، ص 16.
- 20- موران إدغار، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص 27، 28.
- 21- موران إدغار، أخلاقيات التعقيد ومشكلة القيم في القرن العشرين، القيم إلى أي؟ إشراف جيروم بيندوي، ترجمة زهيدة درويش جبور وجان جبور، تونس دار الحكمة، (د. ط. ن)، 2005، ص 131.
- 22- موران إدغار، هل نسير إلى الهاوية؟، مصدر سابق، ص 28.
- 23- موران إدغار، المنهج الجزء الرابع، الأفكار، مصدر سابق، ص 360.
- 24- موران إدغار، المنهج الجزء الرابع، الأفكار، مصدر سابق، ص 360.
- 25- موران إدغار، المنهج، معرفة المعرفة، ترجمة يوسف تيبس، إفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط. ن)، 2013، الجزء الثالث، ص 175.
- 26- موران إدغار، المنهج، الجزء الرابع، الأفكار، مصدر سابق، ص 355.
- 27- كاسيرر أرنتست، المرجع السابق، ص 387.
- 28- موران إدغار، المنهج، الجزء الثالث، معرفة المعرفة، مصدر سابق، ص 175.
- 29- موران إدغار، المنهج، الجزء الرابع، الأفكار، مصدر سابق، ص 237.
- 30- كاسيرر، أرنتست، المرجع السابق، ص 378.
- 31- المرجع نفسه، ص 371.
- 32- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 33- المرجع نفسه، ص 371، 372.
- 34- كاسيرر، أرنتست، المرجع السابق، ص 372.

-
- 35- المرجع نفسه، الصفحة نفسها..
- 36- المرجع نفسه، ص 373.
- 37- كاسيرر، ارنست، المرجع السابق ، ص 375.
- 38- المرجع نفسه، ص 380.
- 39- المرجع نفسه، ص 381.
- 40- موران إدغار، المنهج، الجزء الرابع، الأفكار، مصدر سابق، ص 237.
- 41- الياد مرسيا، الأساطير والأحلام والأسرار، مرجع سابق، ص 39.
- 42- المرجع نفسه، ص 39.
- 43 - الياد مرسيا، الأساطير والأحلام والأسرار، مرجع سابق، ص 29.
- 44- المرجع نفسه، ص 40.
- 45- المرجع نفسه، ص 41.
- 46- موران ادغار، في الجماليات، ترجمة، يوسف تيبس، دار الكتب القطرية وزارة الثقافة والرياضة، الدوحة، (د. ط. ن)، 2019، ص 67.
- 47- موران ادغار، نجوم السينما، ترجمة، ابراهيم العريس، مراجعة ، هدى نعمة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2012، ص 48.
- 48- المرجع نفسه، ص 49.
- 49- موران ادغار، نجوم السينما، مصدر سابق، ص 49.
- 50- موران ادغار، في الجماليات، مصدر سابق، ص 67.
- 51- موران ادغار، في الجماليات، مصدر سابق ، ص 163.
- 52- المصدر نفسه، ص 165.
- 53- المصدر نفسه، ص 178.
- 54- الياد مرسيا، الأساطير والأحلام والأسرار، مرجع سابق ، ص 44.
- 55- إن التركيب (complexus) يعني "ما نسج ككل" أو "متصل"، من المكونات المتنافرة المجمعمة بشكل يتعذر معه التفريق بينهما، إنه يطرح الواحد والمتعدد، وهو ما نستشفه من القول الموالي "التعقيد هو نسيج (منسوج ككل) من المكونات المتنافرة المجمعمة، بشكل يتعذر الفصل بينهما، إنه يطرح مفارقة الواحد المتعدد... إن التعقيد هو نسيج من الأحداث والأفعال والتفاعلات والارتدادات والتجديدات والمصادفات التي تشكل عالمنا الظاهري"
- Edgar Morin, Introduction à la pensée complexe, Edition du pari, 2005, p 21.
- ومن هذا نفهم، أن التركيب عند إدغار موران، هو ما تم نسجه ككل، وهو عبارة عن حلقة وصل بين العناصر المكونة للكل. مثل ذلك الكل في الاقتصادي والسياسي والسوسيولوجي والنفسي والوجداني والأسطوري، مراعيًا في ذلك كل أشكال الترابط والتفاعل والارتدادات بين مواضيع المعرفة وسياقاتها،

- أي بين الكل والأجزاء، فيما بينها، ولهذا فإن الفكر المعقد يحاول أن يرى ما يربط الأشياء، وليس أشكال حضور الأجزاء في الكل فقط، بل حضور الكل في هذه الأجزاء.
- Edgar Morin, la vie de la vie, Edition du Seuil, paris, 1980, p12
- فعند دراسة الإنسان -على سبيل المثال- دراسة مستفيضة وفي مجموعة، وإدماج هذا الكائن الحي في الطبيعة. فإننا ملزمون بتبني زاوية نظر الفكر المعقد، الذي يعبر عن تعقد الواقع، ويبحث في طبيعة التعقد، ويعطي الكلمة، لكل العلماء من جميع التخصصات، انطلاقاً من البيولوجي وعلماء النفس والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والمناخ وإلى علماء الأعصاب والتشريح والوراثة واللغة والاقتصاد والتقنيات الحديثة من أجل دراسة متكاملة تقترب من الجزئي ويعيد تنظيم الكلي.
- 56 - موران إدغار، النهج، إنسانية البشرية والهوية البشرية، ترجمة هناء الصبحي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، أبوظبي، 2009، ص 147.
- 57- موران إدغار، النهج، إنسانية البشرية والهوية البشرية، مصدر سابق، ص 147، 148.
- 58- Morin Edgar، 'La voie De Pour L'avenir La voie De Pour L'humanité' fayard، Paris 2011 p30.
- 59- ارمنسترونغ كارين، المرجع السابق، ص 122.